قصة

النظارة السوداء

(الجزء الاول من سلسلة تحقيقات عيسى الوكيل)

احمد محمد حسن

"عزيزي القارئ/ تحية طيبة وبعد...رجاءا إرسال تقييمك لهذا العمل على هذا البريد الالكترونى ***(AHMEDHASSAN15891@GMAIL.COM)*** وذلك من أجل مساعدتى فى التطور وتقديم الأفضل لك حتى أكون جدير بثقتك وتحظى كتاباتى على إعجابك دائماً وفى النهاية شكرا على صبرك وتفهمك اتمنى لك قراءة ممتعة"

(|)

(النظارة السوداء)

(الجريمة الاولى من سلسلة المحقق عيسى الوكيل)

جاءَ بلاغٌ يفيدُ بوجودِ جثةِ سيدةِ عجوزٍ ، تمَ العثورُ عليها بطريقةٍ غريبةٍ ، أخبرني الشرطيُ الذي تلقى البلاغُ ، أنَ الرجلَ الذي حدثهُ عبرَ الهاتفِ كانَ يبكي ويولولُ ، وأضافَ أنهُ ذو لكنةٍ صعيديةٍ ، وبالفعلِ ذهبتْ بصحبةِ مساعدي وبعضَ القوةِ إلى المكانِ ، الذي كانَ عبارةً عنْ مخزنٍ كبيرٍ لتجارةِ الخردةِ ، لمحتْ لافتةً تحملُ اسم (وكالةُ السعادةِ) ، أسفلَ هذا الاسمِ كتبَ بالبنطِ العريضِ (لصاحبها الحاجَ / منيرْ شريفْ الجندي) ، عندَ وصولي رأيتُ مجموعةٌ كبيرةٌ منْ الناسِ المحتشدونَ أمامهُ ، بعضهمْ تعتلي وجوههمْ علاماتِ الفزعِ ، والبعضُ الآخرُ يحوقلوا ويدعونَ بمغادرةِ هذهِ الدنيا على خيرٍ ، قابلني صاحبُ المكانِ وهوَ رجلُ بدينٍ ، أسمر البشرةِ ، حليق الذقنِ ، يرتدي بدلةً رماديةً اللونِ _ لا تتناسبُ معَ طبيعةِ عملهِ ، تقدمَ إلى بخطواتٍ متغطرسةٍ ، ومدَ يدهِ لمصافحتي لكني تجاهلتهُ ، أيظنْ أنني جئتُ لتهنئتهِ في عرسِ أحدِ أبنائهِ ، رمقني بنظرةٍ ناريةٍ لمحتها بجانبِ عيني عندما تخطيتهُ ، نظرتُ إلى حسنِ مساعدي الذي كانَ يحذو حذوي ، وكعادتهِ علمُ ما أريدهُ ، فأمرُ القوةِ بإخلاءِ المكانِ منْ الناسِ ، وعملَ كردونٍ حولَ الجثةِ ، أشعلتْ لفافةَ تبغٍ ومسحتْ المكانَ بنظري سريعا ، كانتْ الجثةُ ملقاةً على الأرضِ ، مغلفةً بجوالٍ منْ البلاستيك الشفافِ ، وبجانبها أريكةٌ منْ الطرازِ القديمِ ، كانتْ مقسومةً إلى نصفينِ ، وكانَ رجلٌ أربعينيٌ ، يرتدى جلبابٌ قديمٌ ، ذو لونٍ بنيَ باهتٌ ، يدفن رأسهُ بينَ كفيهِ ، ويجلسَ في ركنٍ بعيدٍ ، لمْ يحتاجَ الأمرُ إلى كثيرٍ منْ الدهاءِ ، علمتْ فورا أنهُ هوَ ، أخبرتْ حسنْ أنْ يستدعيهُ ، جاءَ بخطواتٍ ثقيلةٍ تعبرُ عنْ حالتهِ _ أؤمرُ يا بيكْ .

_ أنتَ الذي أبلغتْ عنْ الجريمةِ ؟ _ نعمَ . قالها بعيناتِ شارتدتانْ ، كانتْ ملامحُ وجههِ مجهدةً بشكلٍ كبيرٍ ، أشرتْ لهُ أنْ يتبعنيَ ، ثمَ دنوتُ منْ الجثةِ وهوَ يسيرُ خلفيٌ ، جلستْ القرفصاءُ وأمعنتْ النظرَ ، واضح جدا أنها امرأةٌ منْ الشعرِ البنى الطويلَ والتكوينَ الجسديَ ، لكنَ الوجهَ بشعٌ لا يمكنكَ منْ تبينَ أيَ ملامحَ ، لأنهُ ببساطةٍ مشوهٌ _ لقدْ قامَ القاتلُ بإلقاءِ مياهِ النارِ على وجهِ الضحيةِ لإخفاءِ معالمها . قالها حسنْ فأومأتْ برأسي مؤكدا استنتاجهُ ، ثمَ قلتُ لنفسي _ واضح أنها تعرضتْ لعدةِ طعناتٍ ، تشيرَ إليها الدماءُ المتجمعةُ عندَ العنقِ والبطنِ والساقينِ ، ربتْ حسنْ على كتفي ، فأعطيتهُ نصفَ انتباهٍ _ لقدْ حضرَ رجالُ الطبِ الشرعيِ . انتصبتْ واقفا ، وأخبرتهُ أنْ يرسلَ أحدُ الرجالِ لجلبِ ثلاثةِ كراسيَ وفنجانِ قهوةٍ . . . بعدُ لحظاتٍ جلستْ وجلسَ بجانبيْ حسنْ ، وسمحتْ إلى الرجلِ بالجلوسِ أمامي ، قلتْ : " أخبرني عنْ كلِ ما تعرفهُ " ، قالَ : " أنا رجلاً مسالم يا بيكْ لا شأنَ لي بذلكَ ، في كلِ صباحٍ أقود دراجتي الناريةُ ذاتُ الثلاثِ عجلاتٍ (التروسكلْ) ، وأجوبُ الشوارعَ والحواريَ ابتاعَ كلُ شيءٍ يرى صاحبهُ أنهُ ليسَ في حاجةٍ إليهِ ، رأيتُ الكثيرُ في مهنتي هذهِ يا بيكْ ، معظمُ تعاملي معَ النساءِ ، وهنَ لا يملنَ منْ الثرثرةِ ، بلْ ويبدعنَ في الفصالِ ولا يستطيعُ أحدُ التغلبِ عليهنَ ، قليلاً جدا ما يكونُ البائعُ رجل ، أقصى شيءٍ تعرضتْ إليهِ هوَ دعوةٌ إحداهنَ لي لممارسةِ الفحشاءِ ، لمْ أتخيلْ يوما أنني سوفَ يقودني حظيَ السيئُ إلى التعاملِ معَ جثةِ " ؛ زفرتْ في ضيقٍ ، واقتربتْ منهُ بوجهٍ ممتعضٍ ،

وبنبرةٍ تبدو هادئةً لكنها تحملُ حفنةً منْ القسوةِ تفي بالغرضِ ، خرجتْ الكلماتُ منْ بينِ أسنانيِ ، قلتُ : _ اعرفْ كلَ هذا ، ولا أريدكُ أنْ تملأَ رأسي بكلامٍ فارغٍ لا قيمةً لهُ عندي ، واضح أنَ معاملتي الحسنةَ معكَ افسدتكْ . صمتٌ للحظةٍ ثمَ صرختْ في وجههِ _ قفْ . قفزَ منْ فوقِ كرسيهِ سريعا _ الباشا لا يرغبُ في سماعِ مغامراتكَ في عالمِ الخردةِ ، لا تخرجُ عنْ السياقِ ، تذكرُ هذا التحذيرِ جيدا . هكذا حدثهُ حسنْ ليهدأَ منْ غضبي ، نظرتْ إلى الرجلِ بحاجباتِ منعقدانِ ، ثمَ أشعلتْ لفافةَ تبغٍ وأشرتَ لهُ بسبابتي ، أنْ يكملَ حديثهُ بجديةٍ ، مسحُ جبينهِ المتعرقْ بأكمامِ جلبابهِ ، ثمَ قالَ : " مثلٌ كلِ يومِ يا بيكْ ، أتوقفُ عنْ الشراءِ عندما تنفذُ نقودي ، واتخذَ طريقي إلى الوكالةِ هنا لبيعِ ما جمعتهُ خلالَ يوميْ ، واليومُ أثناء طريقي إلى هنا ، أشارَ إلى شابا عبرَ نافذةِ السيارةِ التي يقودها فتوقفتْ ، ترجلُ منْ سيارتهِ وأخبرني أنَ لديهِ ما يريدُ بيعهُ لي ، وأشارَ إلى الأريكةِ التي كانتْ مثبتةً فوقَ سقفِ السيارةِ ، تلكَ الأريكةِ الملعونةِ ، وكما أخبرتْ سيادتكَ منذُ قليلٍ ، أنني أقصدُ الوكالةُ هنا عندما تنفذُ الأموالُ التي بحوزتي ، أخبرتْ الرجلَ بذلكَ ، لكنهُ لمْ يفكرْ حتى في الأمرِ ، قالَ لي أنهُ لا داعي للمالِ ، فهوَ يريدُ التخلصُ منها على كلِ حالٍ ، بحجةَ أنها تستحوذُ على مساحةٍ كبيرةٍ في منزلهِ بلا داعي و . . . " قاطعتهُ قائلاً : _ صفْ لي هذا الوغدِ . نظرٌ إلى الأعلى وقالَ : _ نحيف جدا مثلٌ عصا ، وو تقريبا ذو شاربٍ رفيعٍ ، وأظنُ أنَ لهُ عينانِ ضيقتانِ ، نعمَ وأنفٌ طويلٌ ، وكانَ يرتدي غطاءَ رأسٍ . . . . قبلَ أنْ أتحدثَ ، قاطعنيِ صاحبُ الوكالةِ ، الذي دنا منى وكانَ يبتسمُ في تحدي ، وهوَ يناولني هاتفهُ باهظُ الثمنِ ، قائلاً : _ مكالمةٌ منْ أجلكَ ، يا حضرةُ الضابطِ . وضعتْ ساقٌ فوقَ الأخرى ، ثمَ قلتْ : _ لا أتحدثُ إلى أحدِ أثناءِ العملِ . _ لكنهُ اللواءُ . . . تعمدتْ النظرَ إلى عينهِ مباشرةِ وأنا أبتسمُ في ثقةٍ ، ثمَ قلتْ : _ حتى وإنْ كانَ على الجانبِ الآخرِ منْ الهاتفِ ، سيادةُ وزيرِ الداخليةِ نفسهِ . صمتٌ للحظةٍ ، شاهدتْ الزهورُ على وجههِ ، وهوَ يخبرُ محدثهُ بكلماتي ، ثمَ أضفتْ : _ أحذركُ ألا تحاولَ مقاطعتيْ مرةٍ أخرى ، أثناءَ ممارسةِ عملي .

اِبْتَعَدَ وَهُوَ غَاضِبٌ جِدًّا ، وَيَشْعُرَ بِالِانْهِزَامِ ، عُدْتُ بِنَظَرِي لِأُكْمِل حَدِيثِي ، لَكِنِّي لَمْ أَجِدْ اَلرَّجُلُ ، قَالَ حَسَنْ مُفَسِّرًا : _ لَقَدْ أَمَرَتْهُ أَنْ يَبْتَعِدَ ، حَتَّى تُنْهِيَ حَدِيثَكَ مَعَ هَذَا اَلرَّجُلِ . نَظَرَتْ إِلَى عَيْنِهِ مُبَاشَرَةٍ ، ثُمَّ قُلْتْ : _ لَدَيْكَ سُؤَالٌ مُلِحٌّ ، هَيَّا تَحَدَّثَ . اِبْتَسَمَ ثُمَّ قَالَ : _ بِحُكْمٍ عَمَلِيٍّ مَعَكَ مُنْذُ مُدَّةٍ كَبِيرَةٍ ، يُمْكِنُنِي بِكُلِّ ثِقَةٍ ، أَنْ أَتَجَاهَلَ هَاجِسُ أَنَّكَ شَخْصٌ نَرْجِسِيٌّ ، لِذَلِكَ أُرِيدُ أَنْ تَتَكَرَّمَ مَعَالِيَكَ وَتُخْبِرُنِي ، لِمَاذَا رَفَضَتْ مُصَافَحَةَ اَلرَّجُلِ ؟ نَفَثَتْ اَلدُّخَّانَ ثُمَّ أَجَبْتُ : _ لَانَا رَأَيْتُ فِيهِ اَلْغُرُورُ وَالْكِبَرُ ، أَسْتَطِيعُ إِخْرَاجُ هَذِهِ اَلنَّوْعِيَّةِ مِنْ وَسَطِ أَلْف شَخْصٍ ، هَيَّا اِجْلِبْ اَلرَّجُلَ لِنَسْتَمِعَ إِلَى بَاقِي اَلْحِكَايَةِ . _ أَكْمَلَ . قِلَّتُهَا ، تَنَفُّسُ اَلرَّجُلِ بِقُوَّةٍ ثُمَّ قَالَ : " كَمَا قُلْتُ لَكَ يَا بِيكْ ، بَعْدَمَا قَالَ إِنَّهَا تَشْغَلُ مِسَاحَةً كَبِيرَةً فِي مَنْزِلِهِ ، بَدَأَ فَوْرًا فِي نَزْعِ اَلْحِبَالْ عَنْ اَلْأَرِيكَةِ ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى شَابًّا آخَرَ كَانَ يَجْلِسُ دَاخِلَ اَلسَّيَّارَةِ ، تَرَجُّلُ اَلشَّابّ ثُمَّ قَامَ بِمُسَاعَدَتِنَا فِي تَنْزِيلِهَا ، كَانَتْ ثَقِيلَةً مِمَّا لَا يَلِيقُ بِأَرِيكَةٍ ، تَسَاءَلَتْ : " لِمَاذَا هِيَ ثَقِيلَةٌ هَكَذَا ؟ " ، تَبَادُلاً نَظْرَةً سَرِيعَةً ثمَ أجابَ النحيفُ " أنَ هذا الطرازِ القديمِ ، تمَ تصنيعهُ بدأبٍ منْ أفخرَ أنواعَ الخشبِ الطبيعيِ " ، قالَ لهُ الآخرِ مبتسما " إنها منْ رائحةِ الزمنِ الجميلِ ، لقدْ نصحتكُ بعدمِ التفريطِ فيها ، لكنها منْ نصيبِ هذا الرجلِ المحظوظِ " ، لمْ أباليَ بحديثهما قلتُ لنفسي " إنها هديةٌ مجانيةٌ على كلِ حالٍ " ، ثمَ غادرا بعدما وضعناها فوقَ دراجتي ، وعندما جئتُ هنا وأثناء تنزيلها على الأرضِ ، بمساعدةِ أحدِ العاملينَ هنا ، سقطتْ رغما عنا فانشطرتْ إلى نصفينِ ، وظهرتْ الجثةُ " كانَ رجالُ الطبِ الشرعيِ قدْ انتهوا منْ عملهمْ ، عندما جاءتني مكالمةٌ منْ أحدِ رؤسائي ، الذي أخبرني أنني يجبُ أنْ أعاملَ المواطنينَ المحترمينَ بطريقةٍ جيدةٍ ، لستَ أحمق لكيْ أسألَ عنْ السببِ ، لكنهُ أخبرني رغم كلِ شيءٍ ، بالشكوى الذي تلقاها منْ أحدِ كبارِ رجالِ الشرطةِ ، ابتسمتْ وقلتْ إنني أقومُ بعملي كما ينبغي ، قبلُ أنْ ينهيَ الاتصالُ ، نصحني أنْ أكونَ ودودا وأحسنَ منْ طباعي الحادةِ ؛ طلبتْ منْ حسنِ أنْ يجلبَ الرجلُ ، ليرشدنا إلى المكانِ الذي حملَ منهُ الأريكةُ ، بعدُ مرورِ بعضِ الوقتِ كنا قدْ وصلنا ، كانَ المكانُ أحد جانبيِ طريق سريع ذو اتجاهينِ ، أمامَ بنايةٍ تحتَ الإنشاءِ ، بعدٌ عدةِ أمتارٍ قليلةٍ لمحتْ فتحةً تسمحُ بالدورانِ للخلفِ ، تنقلُ السياراتِ إلى الاتجاهِ الآخرِ _ بالتأكيدِ لا تذكرُ أرقامُ لوحةِ السيارةِ . قالها حسنْ ، فأجابَ الرجلُ مؤكدا كلامهُ ، أشعلتْ لفافةَ تبغٍ ، ثمَ قلتْ : _ بعدُ عشرونَ متر تقريبا ، يوجد كأمينٍ في هذا الاتجاهِ ، أليسَ هذا صحيحا يا حسنٌ ؟ _ نعمْ ، يا عيسى بيهْ ، يمكنني الاتصالُ بضابطِ الكاملينِ للتأكدِ منْ مرورهما منْ هناكَ . _ لا ، لمْ يفعلا . تجاهلتْ نظرةَ حسنْ المندهشةِ ، وحولتْ نظري إلى الرجلِ ، وتساءلتْ : _ هلْ انحرفتْ السيارةُ ناحيةَ الدورانِ ، واتخذتْ

الاتجاهَ الآخرَ ؟ حكُ رأسهِ ثمَ قالَ : _ تقريبا يا بيكْ ، على ما أتذكرُ . _ اذهبْ أنتَ يا حسنْ ، قمْ بفحصِ كاميراتِ المراقبةِ الخاصةِ بالمحلاتِ _ التي تقعُ على الاتجاهِ الآخرِ ، وسوفَ نلتقي في مكتبي بعدما تنتهي .

.....

كنتَ أجلسُ خلفَ مكتبي أنفثُ الدخانُ ، واستمعَ للرجلِ الذي ملَ منْ سردِ الأحداثِ للمرةِ الثالثةِ تقريبا ، لقدْ قمتُ خلالُ المرةِ الثانيةِ بمقاطعتهِ ، وطلبتْ منهُ أنْ يصفَ لي الشابُ الذي كانَ داخلِ السيارةِ _ وترجلَ ليساعدَ في حملِ الأريكةِ ، أخبرني أنهُ قصيرٌ القامةِ ، حليق الرأسِ ، ذو لحيةٍ ناميةٍ ، وأنهُ لا يتذكرُ ملامحَ وجههِ إطلاقا ؛ أشرتْ لهُ أنْ يتوقفَ عنْ الكلامِ _ ذكرني باسمكَ ؟ قلتْ ، أجابَ : _ بدوي يا بيكْ . _ يمكنكَ أنْ تستريحَ قليلاً بالخارجِ ، يا بدويٌ . لقدْ شعرتْ بالرغبةِ في الانفرادِ بذاتي لبعضِ الوقتِ ، وأيضا إعطاءُ عقلِ هذا الرجلِ هدنةً ، حتى يتمكنَ منْ استئنافِ الحديثِ بأريحيةٍ ، ويستطيعَ مساعدتي بشكلِ أكثرَ نشاطا ، أمسكتْ قلمي ورسمتْ خطينِ متوازيانِ ، أحدهما أسفل الآخر ، الأولَ يمثلُ الاتجاهُ الذي التقوا خلالهُ ، أما الثاني فهوَ الاتجاهُ المعاكسُ ، قمتُ بإضافةِ نصفِ دائرةٍ تربطُ الخطينِ ببعضهما _ وتمثل الدورانَ ، ثمَ قمتُ بمدِ الخطِ الأولِ حتى نهايةِ عرضِ الصفحةِ ، أشعلتْ لفافةَ تبغٍ ثمَ أرحتُ ظهري إلى الخلفِ ، وأغمضتْ عيني وبدأتْ أفكرُ ، معظمُ المجرمينَ لا يمتلكونَ الذكاءُ الحادُ ، الذي يمكنهمْ منْ خداعِ رجالِ الشرطةِ ، لأنَ الأفعالَ الشريرةَ لا تنتجُ إلا عنْ شخصٍ جاهلٍ تقودهُ إحدى شهواتهِ ، ما قاما بهِ فأعلى هذهِ الجريمةِ ، أقلَ ما يقالُ عنهُ إنهُ تصرفٌ أحمقَ ينمُ عنْ غباءِ صاحبيهِ ، ولا أظنُ أنَ المجرمَ المتمرسَ بهذا الغباءِ ، كيفَ غابَ عنْ خاطرهما أنَ الرجلَ قدْ تعرفُ على وجهيهما عنْ قربٍ ، يمكنني التكهنُ بأنهما ظنا أنَ هكذا ستلتصقُ الجريمةُ بالرجلِ ، عندما فكرا أنهُ سيمرُ على الكامينْ وربما يقومُ أحدُ أفرادهِ بتفتيشِ أشياءهُ ، أوْ حتى إنَ مرَ بسلامٍ عاجلاً أمْ آجلاً سيكتشفُ أحدهمْ الجثةَ بحوزتهِ ، وفي كلا الحالتينِ لنْ يصدقَ أحدُ روايتهِ ، تفكيرٌ سطحيٌ جدا يشيرُ إلى شيئينِ لا ثالث لهما ، الأول أنهمْ أغبياءُ أكثرَ منْ اللازمِ ، والثاني أنهمْ مغيبانِ عنْ الوعيِ ، وأرجحَ الثاني كثيرا نظرا لحديثهما معَ الرجلِ وابتسامةِ القصيرِ أثناءَ الحديثِ ؛ عدتُ إلى ورقتي منْ جديدٍ ، رسمتْ دائرتينِ يتخللهما الخطُ الذي يمثلُ الاتجاهُ المعاكسُ ، الأولى تمثلُ أقربَ منطقةٍ على الطريقِ منْ المكانِ ، وأطلقتْ عليها حرفٌ (س) كعلامةٍ ، وهيَ تبعدُ عنْ المكانِ بمسافةِ اثنانِ كيلوا مترٌ ، أما المنطقةُ الثانيةُ (ص) تبعدَ بمسافةِ خمسةِ كيلوا مترا ، ثمَ دونتْ بعضُ الكلماتِ في الأسفلِ ، مثلٌ (عجوز ، تحتَ تأثيرِ المخدرِ ، قتلَ عمدٌ ، طرفُ ثالثٌ ، دافعُ قوى ، إرثٌ ، طبقةٌ متوسطةٌ)

شعرتُ بالرغبةِ في تناولِ فنجانِ قهوةٍ ، وبالفعلِ استدعيتْ عاملَ البوفيه ، وفورَ خروجهِ أمرتْ بدخولِ الرجلِ وسمحتْ لهُ بالجلوسِ ، كانَ يرمقني منْ حينٍ إلى آخرَ بنظراتٍ خاطفةٍ مليئةٍ بالتوترِ ، سادَ الصمتُ للحظاتِ حتى حضرَ عاملُ البوفيه بالمشروباتِ _ لقدْ طلبتْ لكَ كوبا منْ الشايِ الثقيلِ ، أظنُ أنَ أهلَ الصعيدِ يقدرونَ هذا المشروبِ بشكلٍ خاصٍ ، أليسَ كذلكَ ؟ ابتسمَ للمرةِ الأولى وشكرني بحرارةٍ ، ثمَ قدمتْ لهُ لفافةُ تبغٍ ، اتسعتْ ابتسامتهُ ورأيتُ علاماتِ الاطمئنانِ تزينُ وجههُ ، " هذا ما أردتهُ بالضبطِ " هكذا حدثتْ نفسي . _ اعلمْ أنَ الوضعَ سيئٌ للغايةِ ، وانْ ما نحنُ بصددهِ الآنِ هوَ أمرٌ مزعجٌ جدا ، لكنهُ القدرُ على كلِ حالٍ . اعتدلَ في جلستهِ وأكدَ على كلماتي بهدوءٍ _ صحيحٍ يا بيكْ . نفثتْ الدخانَ ببطءٍ ، ثمَ قلتْ : _ كلُ ما أريدهُ منكَ هوَ أنْ تجيبنيَ على بعضِ الأسئلةِ البسيطةِ ، التي أعدكَ أنَ لا تتخطى أصابعَ اليدِ الواحدةِ ، هذا كلُ ما أرغبُ بهِ . رشفُ منْ الكوبِ القابعِ بينَ أصابعِ يدهِ الغليظةِ ، محدثا صوتا مزعجا جدا يثيرُ الغثيانُ ، تمالكتْ نفسي بمعجزةٍ حتى لا أفسدَ الحديثُ ، ثمَ قالَ : _ تحتَ أمركَ يا بيكْ . _ لقدْ أخبرتني فيما سبقَ ، أنَ الشابَ القصيرَ الذي ترجلَ منْ السيارةِ ، كانَ يجلسُ خلفَ كرسيِ القيادةِ . _ نعمَ ، أتذكرُ ذلكَ جيدا . _ هلْ كانَ هناكَ شخصٌ آخرُ يشغلُ الكرسيُ الجانبيُ للسائقِ ؟ صفعَ جبينهُ بباطنِ كفهِ الأيسرَ ، وقالَ : _ كيفَ غابَ عنْ خاطري هذا الأمرِ ! ، اعترفَ بصدقٍ أني كنتُ مغفلاً . ثمَ وضعِ الكوبِ بعدما تجرعَ آخرٌ ما فيهِ ، وأضافَ : _ كانتْ فتاةٌ في مقتبلِ

العمرِ ، أتذكرها الآنَ جيدا . ابتسمتْ في انتصارٍ ، ثمَ نفثتْ الدخانَ وتساءلتْ : _ ما الذي حدثَ جعلها تنطبعْ في ذاكرتكَ هكذا ؟ ، هلْ أعجبتكَ إلى هذا الحدِ ؟ _ معاذَ اللهِ يا بيكْ ، أنا لا اهتمَ بتلكَ الأمورِ ، لكنَ ما لفتَ انتباهي لها ، هيَ لفافةُ التبغِ التي كانتْ تدخنها في نهمٍ ، دونُ اكتراثٌ لأحدٍ . _ هلْ تذكرُ ملامحَ وجهها ؟ _ نعمْ يا بيكْ ، كانتْ قمحيةَ البشرةِ ، ذاتَ أنفٍ صغيرٍ ، وشفاه باهتةَ اللونِ ، وعينانِ ضيقتانِ تحيطهما هالةٌ سوداءُ ، وكانتْ خصلاتُ شعرها الطويلِ المنسدلِ فوقَ كتفيها _ ذاتَ اللونِ البنى _ تتخللها زراعيٌ نظارةَ شمسٍ معتمةٍ ، لا أخفي علي سيادتكَ لقدْ ظننتُ أنها فتاةُ ليلٍ . أشعلتْ لفافةً أخرى ، ثمَ رشفتْ منْ فنجاني وتساءلتْ : _ هلْ تذكرٌ أيْ شيئا آخر ؟ _ كانتْ نحيفةً جدا ، وهذا كلُ ما أعرفهُ .

.....

عندما عادَ حسنٌ ، أخبرني أنَ السيارةَ كانتْ دونَ لوحاتٍ معدنيةٍ ، لمُ اتفاجئُ بالطبعِ لقدْ تكهنتْ بذلكَ ، لكنهُ أكدَ لي وجودُ الفتاةِ ، ولمْ يتمكنْ منْ رؤيةِ ملامحها لارتدائها نظارةً شمسيةً سوداء ، وأنَ قائدَ السيارةِ كانَ يرتدي فعلاً غطاءَ رأسٍ كما وصفهُ الرجلُ . _ ألقى نظرةَ هنا ، وأخبرني ماذا فهمتْ . قلتها ، ثمَ وضعتْ الورقةُ أمامهُ ، ترقبها للحظةٍ ثمَ أشارَ إلى الخطينِ ، وقالَ : _ هذانِ بالطبعِ يمثلانِ الطريقينِ ، وهذا هوَ الدورانُ . أومأتْ برأسي بالإيجابِ ، أضافَ : _ وهاتانِ الدائرتانِ يمثلنَ المنطقتينِ الأقربَ منْ المكانِ ، أليسَ كذلكَ ؟ _ نعمَ . _ لكنَ ما لا أفهمهُ حقا ، تلكَ الكلماتِ الغريبةِ التي تشبهُ الطلاسمُ ، يتملكني الفضولُ لمعرفةِ ماذا تعنى حقا . قدمتْ لهُ لفافةُ تبغٍ ، ثمَ أشعلتْ لفافتي بهدوءٍ ، وقلتْ : _ كلمةٌ (عجوز) أقصد بها الجثةُ ، لقدْ لمحتْ خصلةً بيضاءَ متخفيةً _ وسطَ خصلاتِ شعرها المصبوغِ بالسوادِ . اتسعتْ عيناهُ مندهشا ، وقالَ : _ لقدْ فحصتْ الجثةُ مثلكَ ، لكني لمْ ألاحظْ ذلكَ قطُ ! ابتسمتْ لهُ ، ثمَ استرسلتْ : _ (تحتَ تأثيرِ المخدرِ) قصدتْ بها الشابانِ والقاتلِ منهما ، الشابانِ لأنهما تعاملاً معَ الأمرِ بسذاجةٍ ، عندما أوقفا بائعٌ متجولٌ مثلٌ هذا وتهاونا برؤيتهِ لملامحهما عنْ قربٍ ، وطريقةُ حديثهما معهُ واضحةً جدا أنهما تحتَ تأثيرِ المخدراتِ ، لا يمكنُ لقاتلٍ هاوي أنْ يتحدثَ بهذا الثباتِ ، لأنهُ يكنْ في حالةِ رهبةٍ وتوترٍ واضحةٍ ، أما عنْ القاتلِ فهوَ مغيبٌ عنْ الوعيِ أيضا ، هذا ظاهرٌ جدا منْ الطعناتِ ، أظنُ أنَ الأمرَ أخذَ بعضُ الوقتِ ، أقصدُ أنهُ كانَ يهددُ الضحيةَ لتنصاعَ لرغبةِ ما لديهِ .

_ بناءٌ على تحليلِ سيادتكَ للأمرِ ، يخبرني حدسيٌ _ أنَ القاتلَ كانَ يحتجزُ الضحيةَ في مكانٍ ما . _ اقتربتْ يا حسنْ ، بلْ ربما أيضا يكونُ الطرفانِ يقطنانِ منزلاً واحدا . _ الآنُ فهمتْ ما تقصدهُ بي (قتلُ عمدٍ & إرثٍ & دافعَ قوى & طرفِ ثالثٍ) ، لقدْ قصدتْ أنَ القاتلَ كانَ يهددُ الضحيةَ بالقتلِ ، وبما أنَ المرأةَ عجوزٌ فلا يوجدُ دافعَ قوى لقتلها ، سوى الحصولِ على شيءٍ ثمينٍ تملكهُ ، وأقربَ مثال للأمرِ هوَ الإرثُ ، لذلكَ فإنَ القاتلَ شخص قريبٍ منْ الضحيةِ ، لأنَ ما تملكهُ السيدةُ سينتقلُ بعدَ وفاتها لهُ ، لذلكَ قررَ أنْ ينهيَ حياتها ، بما أنهُ لنْ يحصلَ عليهِ في وجودها ، وبالطبعِ شككَ بوجودِ (طرفُ ثالثٌ) وضحِ بعدَ ظهورِ الفتاةِ . صفقتْ لهُ وأنا ابتسمَ في رضا _ أحسنتْ يا حسنْ ، أحسنتْ يا بنيٌ ، سوفَ يكونُ لكَ مستقبلاً باهرا . _ تلميذكَ يا عيسى بيهْ ، أنَ كلماتكَ هذهِ تتركُ أثرا كبيرا في نفسيٍ ، وتجعلني أسعى دوما لكيْ أكون عندَ حسنِ ظنكَ . ابتسمتْ ثمَ أضفتْ : _ أما (طبقةٌ متوسطةٌ) فهوَ استنتاجٌ ، نظرا للملابسِ التي كانتْ ترتديها الضحيةُ . _ وما هيَ الخطوةُ القادمةُ ؟ _ أريدكُ أنْ ترسلَ رجالنا ، لتمشيطِ المنطقةِ (ص) ، بحثا عنْ الفتاةِ التي سأدونُ لكَ مواصفاتها . تسائلَ : _ لماذا الفتاةُ وليسَ الشابانِ ؟ ، وأيضا لماذا (ص) ولستُ (س) ؟ تنفستْ بعمقٍ ثمَ زفرتْ بهدوءٍ ، وأرحتُ ظهري إلى الخلفِ ، ثمَ قلتْ : _ الأمرُ بسيطٌ جدا ، على الرغمِ منْ كونهمْ حمقى ، لكنهمْ يملكونَ حفنةٌ منْ الذكاءِ ، تذكرَ جيدا أنَ الغبيَ هوَ منْ يستهينُ بذكاءِ الآخرينَ ، لذلكَ أتوقعُ أنهمْ بالطبعِ قاموا بإخفاءِ السيارةِ أنَ كانتْ ملكهمْ منْ الأساسِ ، ومحاولةُ البحثِ عنْ الشابانِ ستبوءُ بالفشلِ حتما ، نحنُ لا نملكُ سوى ملامحَ عاديةٍ وغيرِ

مميزةٍ لأحدهما ، ومؤكدٌ أنَ ظهورهما سيكونُ نادرا ، لكنْ عندما يتعلقُ الأمرُ بفتاةٍ ، وأضفْ على ذلكَ أنها تتناولُ المخدراتُ ، نحنُ في مجتمعِ شرقيَ ونتحدث هنا عنْ حيٍ شعبيٍ بحتٍ ، لذلكَ الوصولِ إليها هوَ الاختيارُ اليسيرُ والأفضلُ ، أما عنْ سؤالكَ الثاني ، يمكنني أنْ أقولَ لكَ بثقةٍ ، أنَ هواةً مثلِ هؤلاءِ كانَ لا بدَ أنْ يتخلصوا منْ الجثةِ دونَ أنْ يخاطروا بحياتهمْ ، وكانَ الاختيارُ الأسهلُ بالنسبةِ لهمْ ، أنْ يذهبوا بها إلى مكانٍ بعيدٍ عنْ دائرتهمْ ، حتى لا يراهمْ أحدُ المعارفِ أوْ الجيرانِ ، وفي الوقتِ ذاتهِ يكونوا على مقربةٍ منْ الحيِ الذي يقطنونَ بهِ ، ولا أظنُ أنهمْ وضعوا ضمنُ خطتهمْ لقاءَ بدويٍ ، لكنهُ لسوءِ حظهِ ظهرَ في طريقهمْ ، فلمعتْ الفكرةُ في رأسِ أحدهمْ ، وكانَ المكانُ الذي رأوهُ فيهِ هوَ آخرٌ نقطةٍ قبلَ الكامينْ ، وتنطبقَ عليهِ كلِ المواصفاتِ الذينَ أرادوها ، يفصلَ بينَ منطقةِ سكنهمْ وهذا المكانُ المنطقةَ (س) ، وبجانبَ الدورانِ أيضا ليتمكنوا منْ العودةِ إلى حيثُ جاءوا ، فهمتْ ؟ _ إذنُ ماذا كانوا سيفعلونَ إنَ لمْ يلتقوا بهِ ؟ _ كانوا سيتخذونَ الدورانَ بلا ريبٍ ، ويقوموا بالبحثِ عنْ مكانٍ آخرَ .

.....

بعد مرور أربعة أيام من البحث المكثف، تطابقت المواصفات على ثلاثة فتيات، وعندما تم الكشف عن هويتهن، لم أجد في ملفاتهن أي شيء مشين يذكر، أمرت بجمع معلومات عنهن، وبالفعل جاءني تقرير يقول إن الأولى تدعى (منار)، فتاة في بداية العشرينيات من العمر، ترتدى الحجاب، وتعتلي وجهها علامات الاستسلام للقدر، بلا شهادة تعليمية، تشغل مهنة عاملة نظافة في إحدى المولاة، والديها متوفيان، وتعيش في شقة العائلة مع شقيقها الأكبر وزوجته، لا أظن أنها تستطيع فعل ذلك؛ أما الثانية كانت امرأة في بداية عقدها الثالث، تدعى (سعاد)، ترتدى عوينات طبية، متزوجة ولديها طفلين، تعمل معلمة لغة أجنبية في إحدى المدارس الحكومية، متزوجة من محاسب قانوني، ولا يوجد لها أقارب في نفس الحي، تفرست في ملامح وجهها_من خلال الصورة القابعة بين أصابع يدي، وجدتها تحمل مسحة صارمة تشى بحبها للنظام، مما يجعلنى اتجاهل كونها تشارك فى جريمة قتل؛ الثالثة هى (عفاف)، فى الخامسة والثلاثون من العمر، حاصلة على دبلوم تجارة، تعمل مدبرة منزل، أرملة ولديها بنت، وتعيش مع والدة زوجها، لها نظرة شاخصة حزينة، ووجه بائس، بحكم خبرتى الطويلة، لا أرجح أنها صاحبة النظارة السوداء

_كيف حالك يا بدوى؟

تسائلت وانا أترقب مظهره السئ، الناتج عن حالته النفسية، من أثر الاحتجاز

_نحمد الله على كل حال يا بيك.

أذنت له بالجلوس، وناولته لفافة تبغ

_عيسى بيه يتعاطف معك كثيرا يا بدوي، وهذا نادرا ما يحدث.

قالها حسن، فقال بدوي وهو منتكس الرأس

_الباشا ذو أصل طيب، نصره الله على أعدائه.

عبثت بالورق الموضوع أمامي، ثم ناولته الثلاثة صور

_أمعن النظر جيدا_وأخبرني، هل الفتاة التي وصفتها لي واحدة منهن؟

ظل ينتقل ببصره من واحدة إلى أخرى، ثم قال:

_لا يا بيك، ليست بينهن.

_انظر مرة أخرى جيدا، خذ وقتك ولا تتعجل.

قالها حسن، أعاد بدوي النظر ثانيا، ثم هز رأسه نافيا

_لا يا بيك، صحيح أنهن يتشابهن قليلا معها، لكنها ليست إحداهن.

بعد مرور بعض الوقت، كنت أرتشف قهوتي ، عندما نفث حسن الدخان وقال:

_وماذا بعد يا قائد؟

_سوف نظفر بها عن قريب_لا تجزع، الصياد الماهر ينتظر لأيام طوال دون أن يقنط، بل على العكس، فهو يزداد يقين أنه كلما طالت المدة_سوف تأتى لحظة ما، ويظفر بسمكة أكبر مما يتمنى.

.....

في مساءِ هذا اليومِ ، عندما كنتُ غارقا في النومِ ، رأيتني أقف في مكانٍ مظلمٍ ، حاولتْ أنَ أسيرَ بحثا عنْ أيِ بصيصِ منْ النورِ ، لكنني كلما حاولتْ أنْ أخطوَ في أيِ اتجاهٍ ، كنتَ أتخبطُ في أشياءَ لا أعلمُ كنهها ، وكانتْ أصواتُ الرياحِ عاليةً تخترقُ أذنايَ ، نظرتُ حولي محاولاً رؤيةَ أيِ شيءٍ ، لكنَ الظلامَ كانَ دامسا إلى حدِ عدمِ القدرةِ على الإبصارِ ، فجأةُ هدأتْ الرياحُ التي كانتْ غاضبةً على ما أظنُ ، وسمعتُ همسا يشبهُ إلى الفحيحِ ، تلفتَ حولي في خوفِ منْ مصدرها المجهولِ بالنسبةِ لي ، حتى رؤيتها تقفُ وسطَ الظلامِ ، وهناكَ خيطٌ رفيعٌ منْ الضوءِ ينتقلُ ما بينَ وجهها وجسدها ، حافيةً القدمينِ ، ذاتَ جسدٍ ممتلئٍ قليلاً ، ترتدى جلبابا شعبي ذاتَ نقوشٍ ، ارتعدَ جسديٌ فورا عندما تبينتْ وجهها ، وتراجعتْ ثلاثةَ خطواتٍ إلى الخلفِ ، هنا تذكرتها على الفورِ ، أنها . . . إنها السيدةُ المقتولةُ ، خرجتْ الكلماتُ مهزوزةً منْ بينِ شفتيْ المرتجفتانِ ، قلتْ : _ م ن فعلُ بكَ هذا ؟ أشارتْ إلى رضيعٍ في المهدِ ، ذو جسدٍ مغلفٍ بقماشٍ أبيضٍ يخفى حتى ملامحهِ ، كانَ موضوعُ أرضا يبكي متذمرا ، وعندما عدتُ انظرْ إليها لمْ أجدها ، وفجأةُ تبدلَ الوضعُ تماما واستيقظتْ لتجدني في غرفتيْ . . .

.....

استيقظتْ على رنينٍ هاتفيٍ ، كانَ المتصلُ حسنْ ، أخبرني أنَ هناكَ بلاغٌ قدمتهُ إحدى السيداتِ القاطناتِ في المنطقةِ (ص) ، يفيدَ باختفاءِ جارتها العجوزَ منذُ ثلاثةِ أيامٍ . _ ما الذي دفعكَ إلى الإبلاغِ عنْ تغيبها ؟ كانَ ذلكَ أولى اسألني الموجهةَ إلى السيدةِ / زينبْ العسكري ، وهيَ امرأةٌ سمراءٌ نحيفةٌ . أجابتْ قائلةً : _ لقدْ تعودتْ على رؤيةِ كريمةٍ في الصباحِ والمساءِ منذُ خمسةِ وعشرونَ عاما ، نجلسُ سويا سواءٌ في شقتها أوْ شقتي ، ونتبادلُ الأحاديثَ الوديةَ والأسرارَ . انعقدَ حاجبي وتساءلتْ : _ ألمْ يكنْ لها أقاربُ في أيِ محافظةٍ أخرى ؟ _ نعمَ ، لديها شقيقةٌ واحدةٌ تقطنُ في محافظةِ البحيرةِ ، لكنها حتى عندما كانتْ تسافرُ إليها _ ل قضاءُ بضعةِ أيامِ كنوعٍ منْ تغيرِ الجوِ _ كانتْ تخبرني . _ ربما ذهبتْ إليها هذهِ المرةِ ، وحدثَ ظرفُ ما منعها منْ أخبارك . _ هذا ما ظننتهُ أنا أيضا ، لذلكَ قمتُ بالاتصالِ ب سناءْ شقيقتها ، وعلمتْ أنها لمْ تذهبْ إليها . _ هلْ كانتْ تعيشُ وحدها ؟ _ لا ، تعيشَ معها ابنتها عبيرْ . _ وأينَ هيَ ؟ _ لقدْ رأيتها منذُ يومينِ ، وحينُ سألتها عنْ والدتها ، أخبرتني أنها سافرتْ إلى خالتها ، وأنها سوفَ تلحقُ بها ، وهذا ما زادَ منْ قلقي ودفعني إلى الاتصالِ ب سناءْ . ثمَ صمتتْ لحظةً سقطتْ خلالها دموعها ، ثمَ أضافتْ : _ يا حبيبتي يا كريمةً ، يا ترى ماذا حدثَ لكَ . وبعدما هدأتْ قليلاً ، قدمتْ لها صورةُ الأريكةِ المنشطرةِ إلى نصفينِ ، شهقتْ المرأةُ وأكدتْ أنها كانتْ ملكا ل جارتها المسكينةُ ، طلبتْ منها أنْ تصفَ لي نجلةُ السيدةِ المتغيبةِ المدعوةِ عبيرْ ، وكانتْ الأوصافُ التي أدلتْ بها متطابقةٌ تماما معَ صاحبةِ النظارةِ السوداءِ ، وهنا سألتها عنْ أخلاقِ الفتاةِ وعلاقتها بوالدتها ، أخبرتني أنها فتاةٌ

سيئةُ الخلقِ ، " شمامةُ اللهمَ احفظنا " هكذا قالتْ ، ثمَ أضافتْ " ومرافقهُ الموكوسْ إلى اسمهِ شيكو السمكريِ " ، ألقيتْ سؤالي الأخيرَ في عجالةٍ قلتْ : _ هلْ السيدةُ كريمةٌ كانتْ أرملةٌ ؟ _ لا ، مطلقةً يا باشا ، وزوجها رجلُ غنى ، صاحبُ وكالةِ السعادةِ لتجارةِ الخردةِ .

.....

وبالفعلِ اقتحمنا الشقةُ ولمْ نجدْ الفتاةُ كما ظننتُ ، ورأيتُ وجهَ المرأةِ لأولِ مرةٍ منْ خلالِ صورتها المعلقةِ في غرفةِ المعيشةِ ، كانتْ ممتلئةً الوجهِ ، بيضاءً البشرةِ ، تملكَ سماتِ الأمهاتِ الطيباتِ المكافحاتِ ، وبالطبعِ لمْ يكنْ هناكَ أيُ أثرٍ للجريمةِ ، لكني عثرتْ بعدَ بحثٍ دقيقٍ على حلقتينِ ذهبيتينِ حجمهما صغيرٌ جدا ، كانتا متخفيتانِ تحتُ طرفِ سجادةِ داخلَ غرفةِ الفتاةِ ، وهنا تذكرتْ أثارَ القلادةَ على عنقِ الضحيةِ منْ الخلفِ ، والتي كانتْ غيرَ واضحةٍ إلا لمنْ يدقق النظرُ جيدا . أمرتْ حسنْ أنْ يقومَ بالقبضِ على سعيدْ متوليْ الشهيرَ ب (يشكو) ، وأنْ يعتنيَ بهِ جيدا لكيْ يخبرهُ عنْ صديقهِ الذي كانَ معهُ ، واتفقتْ معهُ أنْ يخبرهُ أنَ عبيرْ قامتْ بالاعترافِ بكلِ شيءٍ ، حتى يكونَ استدراجهُ أمر يسيرٍ ، وذهبتُ أنا إلى محافظةِ الإسكندريةِ ، التي علمتْ أنَ المدعوَ منيرْ يملك شقةَ هناكَ ، وتكهنتْ إنهُ المكانُ الأكثرُ أمانا ليخبئَ فيهِ ابنتهُ الوحيدةَ ، التي لجأتْ لهُ بطبيعةِ الحالِ لتحتميَ بهِ _ بعدما ارتكبتْ جريمتها الشنيعةُ ، عندما وصلتْ أسفلِ البنايةِ رنَ هاتفيٍ ، كانَ المتصلُ هوَ حسنْ ، الذي أخبرني أنَ المدعوَ شيكو ، منذُ علمٍ أنَ عبيرْ قامتْ بالاعترافِ عليهِ هوَ وصديقهُ ، تشككَ في البدايةِ لكنْ فورِ مواجهتهِ ب بدويٌ بائعُ الخردةِ ، الذي تعرفَ عليهِ فورَ رؤيتهِ ، بالإضافةِ إلى صفعتينِ على قفاهُ ، انسابتْ الدموعُ منْ عينيهِ المذهولتانِ واعترفَ بكلِ شيءٍ ، ثمَ أضافَ حسنْ أنهُ في طريقهِ للقبضِ على الشريكِ الثالثِ ، المدعوّ (سميرْ محمودْ عليوة) الشهيرِ ب (عضمة) ؛ أغلقتْ الهاتفَ وأنا أفكرُ في حيلةٍ جيدةٍ للإيقاعِ بهذهِ العبيرِ ، لمْ تمرْ سوى بضعةِ لحظاتٍ وابتسمتْ ، حينُ لمعتْ الفكرةُ في عقليٍ ، ثمَ اتجهتْ نحوَ بوابةِ البنايةِ .

.....

لمْ تصدرْ أيُ صوتٍ أوْ تقدمٍ على فتحِ البابِ ، إلا عندما اطمأنتْ أنَ الطارقَ هوَ عمرانْ البوابْ ، لمْ أكنْ أحمق لأدقّ الباب بنفسي ، تفاجأتْ بوجودي وتساءلتْ قائلةً : " منْ أنتَ ؟ ، وماذا تريدُ ؟ " ، لمْ أجيبَ فقطْ قدمتْ لها بطاقةُ الهويةِ ، فزعتْ فورَ معرفتها بطبيعةِ عملي ، ولمَ انتظرَ أنْ تنتهيَ حالةُ الدهشةِ التي انتابتها ، أمرتْ عمرانْ أنْ يعودَ هوَ إلى عملهِ ، وسمحتْ ل نفسيٌ بالدخولِ ، وبعدُ حديثٍ قصيرٍ دارٍ بيننا أقنعتها خلالهُ بالجزءِ الأولِ منْ حيلتي ، وهوَ أنَ السيدةَ / زينبْ العسكري جارتهمْ ، تقدمتْ ببلاغٍ عنْ اختفاءِ والدتها ، وبعدُ بحثٍ سريعٍ تمَ العثورُ على ثلاثةِ سيداتٍ بلا بطاقاتِ هويةٍ ، لكنهمْ يحملنَ نفسُ الأوصافِ ، وبعدما استدعينا السيدة زينبْ جارتهمْ للتعرفِ عليهنَ ، أكدتْ أنَ إحداهنَ هيَ السيدةُ كريمةٌ ، انفرجَ فمها على آخرهُ منْ الدهشةِ ، ونطقتْ غيرَ مصدقةٍ ، قالتْ : _ ماما ! أكملتْ حديثي مضيفا أنَ المرأةَ التي أكدتْ زينبْ أنها السيدةَ كريمةً ، للأسفِ تعاني منْ مرضِ فقدانِ الذاكرةِ ، وهذا ما أكدهُ الطبيبُ بعدَ فحصها ، وبناءا على ذلكَ قمتُ بالذهابِ إلى وكالةِ ومنزلِ أبيها منيرْ بالقاهرةِ ، لكنهُ لمْ يكنْ في أيا منهما ، وعلمتْ أنهُ ربما يكونُ في هذهِ الشقةِ ، كانَ ذلكَ منْ أجلِ أنْ يقومَ أحدُ أفرادِ العائلةِ منْ الدرجةِ الأولى بالتعرفِ عليها للتأكدِ ، وإنني تفاجأتْ بوجودها هنا بدلاً منْ أبيها . وهكذا استطعتُ أنْ اصطحبها معي دونَ ضوضاءٍ ، لأنني لا أملكُ إذنٌ مسبقٌ منْ النيابةِ بالقبضِ عليها ، خلالَ طريقِ عودتنا إلى القاهرةِ ، كانتْ شاردةُ الذهنِ إلى حدٍ بعيدٍ جدا ، تنفثَ الدخانَ في شراهةٍ ، تعمدتْ أنْ أتركها فريسةً ل عقلها المشوشِ ، وشعرتْ أنني أستطيعُ قراءةُ أفكارها الآنِ ، بالطبعِ هيَ في حالةِ صدمةٍ كبيرةٍ مما أخبرتها بهِ ، لكنها تدريجيا سوفَ تتوصلُ إلى فكرةٍ جيدةٍ ، تمكنها منْ استغلالِ الفرصةِ والاستفادةِ منْ هذا الحدثِ القدريِ ، مؤكد أنها تشعرُ بأنَ الصدفةَ وحدها قدمتْ لها حلٌ ذهبيٌ فوقَ طبقٍ منْ ألماظْ ، الحلُ الذي يتمثلُ في هذهِ المرأةِ ، شبيهةً والدتها الذي شاءَ القدرُ أنْ تكونَ فاقدةً الذاكرةِ ، والتي ستعفيها منْ المساءلةِ القانونيةِ وعقوبةُ الجريمةِ التي ارتكبتها ، بلْ وسوفَ تنصاعُ إلى كلِ طلباتها فيما بعدٌ ، ستكونُ

الورقةُ الرابحةُ في الاستيلاءِ بشكلٍ قانونيٍ على قطعةِ الأرضِ التي كانتْ ملكا لأمها المقتولةِ ، والتي كانتْ بلا ريبِ الدافعِ الأساسيِ إلى القيامِ بفعلتها . حاولتْ أنَ اكسرْ حالةَ الصمتِ ، بلْ وأزيد منْ تشتيتها ، قلتْ : _ بناءٌ على معلوماتيٍ _ أنكَ في زيارةٍ عندَ خالتكَ بمحافظةِ البحيرةِ ، أليسَ ذلكَ صحيحا ؟ بعدٌ لحظةِ تفكيرٍ أومأتْ برأسها إيجابا ، وقالتْ : _ نعمَ ، كانَ منْ المفترضِ أنْ ألحقَ ب أميٌ ، لكنْ في اللحظةِ الأخيرةِ وجدتني في حاجةٍ إلى الاستجمامِ ، لذلكَ قمتُ بتعديلِ رحلتي وذهبتْ إلى شقةِ والدي بالإسكندريةِ . هززتُ رأسي متفهما ، وتركتْ الصمتَ يعودُ مرةً أخرى .

.....

داخلَ مكتبي وبعدما حرصتْ ألا تلتقيَ بأيِ شخصٍ منْ الذينَ تعرفهمْ ، وبعدما أخبرتْ حسنْ بما حدثَ ، حتى لا أفسدَ الجزءَ الأخيرِ منْ حيلتي . _ أينَ أمي ؟ سألتُ ، أجبتُ : _ لا داعي للقلقِ ، سوفَ تلتقي بها الآنِ . ثمَ ضغطِ الزرِ الأحمرِ بجانبيْ ، بناءٌ على اتفاقٍ مسبقٍ بيني وبينَ مساعدي ، فتحُ البابُ ودخلَ حسنْ وعلاماتُ الدهشةِ على وجههِ ، قالَ : _ عيسى بيهْ ، لقدْ استعادتْ المرأةُ ذاكرتها . جحظتْ عيني عبيرْ وانتفضَ جسدها رعبا ، عقدتْ حاجبي وتساءلتْ : _ كيفَ حدثَ ذلكَ ؟ _ لقدْ أخبرني الطبيبُ عبرَ الهاتفِ ، وهيَ الآنَ في طريقها إلى هنا . انتصبتْ الفتاةُ واقفةً وما زالتْ الرجفةُ تسري في جسدها النحيلِ . _ ماذا بكَ ؟ سألتها ، كانتْ عيناها تدورُ داخلَ مقلتيها ، ارتعشتْ شفتاها السفلى وهيَ تقولُ : _ أريدُ الذهابُ إلى دورةِ المياهِ . ابتسمتُ وأنا أغادرُ كرسيُ مكتبي ، كانتْ ترمقني في خوفٍ لمْ تستطيعَ إخفاءهُ ، كنتَ أتجهُ صوبها وعندما اقتربتْ منها دفعتها نحوَ الكرسيِ فأجلستها عنوةً ، ونظرتْ إلى عينيها مباشرةٍ ، وقلتُ : _ أنتَ بلهاءُ وغبيةٌ ، كيفَ تصورتُ أنكَ ستفلتينَ بفعلتكَ الحقيرةِ ، لقدْ عثرنا على والدتكَ وهيَ تلفظُ أنفاسها الأخيرةَ وأخبرتنا بكلِ شيءٍ ، وهيَ الآنَ تحتَ الرعايةِ الطبيةِ المكثفةِ ، لا مجال للكذبِ والادعاءِ . _ أنتَ كاذبٌ وغبيٌ . قالتها وهيَ تصرخُ في وجهي ، انفلتتْ منى ضحكةً مرتفعةً ، وأمامَ نظرةِ التحدي البادية على وجهها ، قلتْ : _ شركاءكَ شيكو وعظمةُ بينَ قبضتي ، واعترفوا بكلِ شيءٍ ، حتى الرجلِ المسكينِ الذينَ رغبتما بإلصاقِ التهمةِ بهِ ، بائعُ الخردةِ الصعيديّ ألم تتذكريهِ ؟ ، لقدْ أشادَ بنظارتكَ السوداءِ الرائعةِ . فورَ سماعها لهذهِ الكلماتِ صمتتْ لحظاتٍ ، كانتْ رأسها منتكسةً نحوَ الأرضِ ، وعلاماتُ الاستسلامِ باديةً على وجهها ، ثمَ انفجرتْ في بكاءِ هيستيريٍ واعترفتْ قائلةً : _ نعمْ ، أنا منْ قتلتها ، لقدْ كانتْ امرأةٌ حمقاءُ وغبيةٌ ، كثيرا ما طلبتْ منها أنْ تبيعَ هذهِ الأرضِ اللعينةِ لتتحسنَ حالتنا الماديةَ ، لكنها كانتْ ترفضُ دائما وتنعتني ب (الشمامةُ) ، وتندبَ حظها السيئَ وتبدى ندمها على إنجابيٍ ، وكلما طلبتْ منها نقودٌ كانتْ توبخني وترفضُ إعطائي أيَ شيءٍ ، وتخبرني أنْ أذهبَ للعيشِ معَ أبي ، لأنني لا أصلحُ للعيشِ معها وتصفني بصندوقِ القمامةِ القذرِ ، الذي يجلبُ الحشراتِ الأكثرَ قذارةً إلى المكانِ الذي يكنْ بهِ ، وكانتْ تقصدُ سعيدْ شيكو ، الذي كنتُ أقدمُ لهُ نفسيٌ مقابلَ المالِ ، لأستطيعَ شراءَ هذا الخراءْ الذي استنشقهُ ، وبمرورَ الوقتِ عرضَ عليا مشاركةَ صاحبهِ عضمة في سهراتنا ، رفضتْ في البدايةِ لكنهُ أخبرني أنهُ لا يستطيعُ تحملَ تكلفةِ شراءِ المخدرِ الذي أتعاطاهُ وحدهُ ، قبلتْ رغما عني وأصبحا يتناوبانِ على ، حتى أعلنا أنَ نقودهما نفذتْ ولمْ يستطيعا تحملُ تكلفةِ المخدرِ بعدَ ذلكَ ، يومها عرضتْ عليا هذهِ الفكرةِ منْ قبلِ سعيدٍ وأكدَ سميرْ على جودةِ هذا الاقتراحِ ، لمْ يكنْ لدى وقتٍ للتفكيرِ في الأمرِ ، وكانَ قدْ فاضَ بي الكيلُ منْ هذهِ العجوزِ الشمطاءِ ، كنتَ في حاجةٍ شديدةٍ لتناولِ جرعةٍ في أسرعِ وقتٍ ، وبدأتْ أشعرُ برأسي يكادَ أنْ ينفجرَ ، وجسديٌ كلهُ يؤلمني بقسوةٍ ، وتوصلتْ إلى أنهُ لا حل لدى سوى القيامُ بذلكَ ، لأنَ والدي أيضا لا يعطيني أيُ أموالٍ ، فقطْ يبتاعُ لي كلِ ما اطلبهُ ، لكنهُ يرفضُ إعطائي نقودُ حتى لا ابتاعَ بها مخدرٌ ، فقمتُ بالاتفاقِ معهما وقمنا بتقيدها وتكميمِ فمها ، وأحضرتْ عقدَ تنازلٍ عنْ ملكيتها للأرضِ ، ولمْ أكنْ أريدُ قتلها قطُ ، فقطْ أردتُ أنْ اخيفها لا أكثرَ حتى تنصاعَ إلى طلبي ، لكنها أبتْ بشدةٍ أنْ تضعَ إمضاءها على التنازلِ ، وكنتُ أشعرُ بجسدي يحترقُ ومعدتي تتمزقُ وعقليٌ يرتجُ داخلَ رأسي ، مما جعلني أسددُ لها طعناتٌ بسيطةٌ نحوَ ساقها ، لأثبتْ لها استعدادي ل قتلها وانْ الأمرِ لا يمتُ بصلةٍ للتهديدِ كما تظنُ ، لكنها أصرتْ على رفضها للقيامِ بالأمرِ ، حتى استشطْ غيظا وفقدتْ عقليٌ وطعنتها عدةَ طعناتٍ في أماكنَ مختلفةٍ لمْ أتبينها خلالَ ثورةٍ غضبي ، مما أدى إلى موتها فورا ، وعندما أدركتْ ما حدثَ ظللتُ أتراجعُ إلى الخلفِ حتى سقطتْ أرضا ، تقوقعتْ على نفسي دافنةً رأسي بينَ قدمي ، قالا لي أننا يجبُ أنْ نتخلصَ منْ الجثةِ في أسرعِ وقتٍ قبلَ أنْ تتعفنَ ويفتضحُ أمرنا ، واقترحَ عضمة أنْ نلقيَ مياهُ النارِ فوقَ وجهها لنخفيَ معالمها ، وقالَ شيكو بعدَ تفكيرٍ طويلٍ أنَ الحلَ الوحيدَ لنقلِ الجثةِ ، دونُ أنْ

يكتشفَ الأمرُ هوَ وضعها داخلَ سحارةِ الأريكةِ ، وجلبَ سيارةِ أحدِ الزبائنِ وقمنا بنقلها ، والباقي أنتمْ تعرفوهُ جيدا . _ أينَ أداةُ الجريمةِ إذن ؟ سألتها ، أجابتْ باكيةً : _ السكينُ ، أخفيتهُ داخلَ فرنِ البوتاجازِ ، وكانَ منْ المفترضِ أنْ أقومَ بغسلهِ جيدا فيما بعدٌ ، لإزالةِ آثارِ الجريمةِ منْ فوقهِ ، لكنني نسيتُ القيامُ بذلكَ . _ بالطبعِ أبيكَ علم بكلِ ذلكَ . قالها حسنْ ، أومأتْ برأسها أنْ نعمَ ، في اللحظةِ ذاتها دقَ البابِ ، وظهرَ الرجلُ بصحبةِ أحدِ المحامينَ . _ بابا . قالتها وهيَ ترتمي في حضنهِ ، بنبرةٍ غاضبةٍ لمْ تخلوَ منْ غطرستهِ قالَ : _ ألمٌ تتعلموا التمييزُ بينَ الصعاليكِ وأولادِ الناسِ ؟ ابتسمت ساخرا ، وأنا أخبرهُ أنهُ تسترٌ على جنايةِ قتلٍ ، وأصبحَ بلا ريبِ شريكٍ في الجريمةِ .

(تمتْ)